نقوش صخرية في الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم

Late Paleolithic Rock Art

عادل كيلاني*

Abstract

A new archaeological survey in Wadi Abu Subeira and el-Aqaba el-Saghira by a team from the Egyptian Supreme Council of Antiquities has recently identified many new rock art sites. So far, nine sites with Late Palaeolithic rock art have been identified in Wādi Abū Subeira and only one in Aqba.

The Late Palaeolithic rock art in both Wādi Abū Subeira and Aqba was executed in a naturalistic style –Franco-Cantabrian, Lascaux-like style, using both techniques of hammering and incision to create the images. This style is substantially different from the later rock art located nearby.

Rock art style, patina, technique and subject matter are proved the date of these rock art assemblage to Late Paleaolithic. This date is support by recently OSL date of similar rock art assemblage located at Qurta north of Wadi Suabeira.

مقدمة

كشفت البعثة الأثرية المصرية أثناء أعمال المسح الأثري بشمال مدينة أسوان عن مواقع هامة لنقوشٍ صخرية بمنطقتي خور أبو سوبيرة والعقبة الصغيرة بلغت أكثر من أربعين موقعًا[١] (لوحتا ١، ٢). ومن بين هذه المواقع عشرة مواقع لنقوش صخرية تختلف في الأسلوب عن بقية مواقع النقوش الصخرية الأخرى، وتعود أهمية هذه النقوش لكونها من أقدم النقوش الصخرية حتى الآن بمنطقة شمال إفريقيا بل إفريقيا بشكل عام باستثناء بعض المواقع القليلة التي تعود لفترة زمنية أقدم.[٢]

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية هذه النقوش الصخرية والبحث عن علاقتها برسوم الكهوف في جنوب أوروبا والبحث عن أصلها، هل كان أصلها في أوروبا؟ أو إفريقيا؟ وهل من الممكن أن تسهم هذه النقوش الصخرية في معرفة تحركات الجماعات البشرية المبكرة والعلاقات فيما بينهم؟ وكيفية انتقال الفنون وأساليبها عبر آلاف الأميال؟ ونظرًا لأن جميع مواقع النقوش الصخرية المشار إليها في هذه الدراسة مكتشفة حديثًا فإن المعلوم عنها محدود. وهناك نقص كبير في الكتابات العربية عن هذه النقوش؛ الأمر الذي يحتاج إلى تعميق دراسة وتحليل هذه النقوش الصخرية والبحث عن سماتها وأهدافها.

الكشف عن نقوش الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم

أثناء قيام البعثة الكندية بأعمال المسح الأثري لمنطقة شمال كوم أمبو في أعوام (١٩٦٢-١٩٦٣م) تم الكشف عن مواقع تعود للعصر الحجري القديم حضارة «بلانة السبيل»،[٣] هذه المواقع توجد أسفل مجموعة من تلال الحجر الرملي المرتفعة، على هذه التلال كشفت البعثة الكندية عن بعض النقوش الصخرية غير المعتادة، جعلت هؤلاء الباحثين يربطون بينها وبين مواقع العصر الحجري القديم في البداية[٤] ثم تراجعوا بعد ذلك.[٥]

وفي عام ٢٠٠٤ كشفت بعثة المتحف الملكي البلجيكية عن موقع للنقوش الصخرية شمال منطقة الحوش الأثرية (شمال مدينة كوم أمبو) موقع ١١ أبو طنقورة بحري، وقد لوحظ تشابه هذه النقوش الصخرية مع النقوش الصخرية بمنطقة قرته.[٦]

وفي عام ٢٠٠٥ أعادت بعثة المتحف الملكي البلجيكية اكتشاف مواقع نقوش منطقة قرته شمال كوم أمبو على الجانب الشرقي للنيل، وأضافت إليها مواقع أخرى فرعية لنقوش من نفس النوع وأطلقت عليها مواقع قرته ١، ٢، ٣.[٧]

وفي عام ٢٠٠٦ كشف الجانب المصري - إدارة المحاجر والمناجم الأثرية بوزارة الآثار - من بعثة الاتحاد الأوروبي المشتركة مع المجلس الأعلى للآثار بأسوان أثناء أعمال المسح الأثري والتوثيق ودراسة المحاجر الأثرية عن موقع لنقوش صخرية من نفس النوع بمنطقة وادي أبو سوبيرة شمال مدينة أسوان بنحو ١٢ كم وهو الموقع CAS-٦ [٨] وفي الأعوام التالية قامت البعثة المصرية بكشف أكثر من ٣٠ موقعًا أثريًّا بوادي سوبيرة منها ١٠ مواقع تحتوي على نقوش صخرية من نفس نوع نقوش قرته وأبو طنقورة بحري.[٩] وشمال موقع أبو سوبيرة بنحو ١ كم بموقع العقبة الصغيرة كشفت البعثة المصرية عن ثلاثة مواقع لنقوش صخرية أحدها يحتوي على لوحة واحدة من نفس نوع النقوش الصخرية التي عثر عليها بمواقع قرته وأبو طنقورة بحري.[١٠]

النقوش الصخرية بين الموقع والموضع

أ- **الموقع**: عثر على جميع النقوش الصخرية التي تعود للعصر الحجري القديم المتأخر على مستوى مرتفع أعلى التلال المحيطة بالوادي، وتم التأكد من ذلك من خلال النقوش التي ما زالت بموقعها الأصلي؛ حيث عثر على عدد من هذه النقوش الصخرية على واجهات الجروف الصخرية أو أعلى التلال، كما عثر على نقوش كثيرة سقطت من أعلى هذه التلال. وهذه النقوش الصخرية في الأغلب مستقلة ولا توجد نقوش من عصور أخرى بجوارها على نفس المستوى من الارتفاع؛ لكن تنتشر نقوش عصر ما قبل

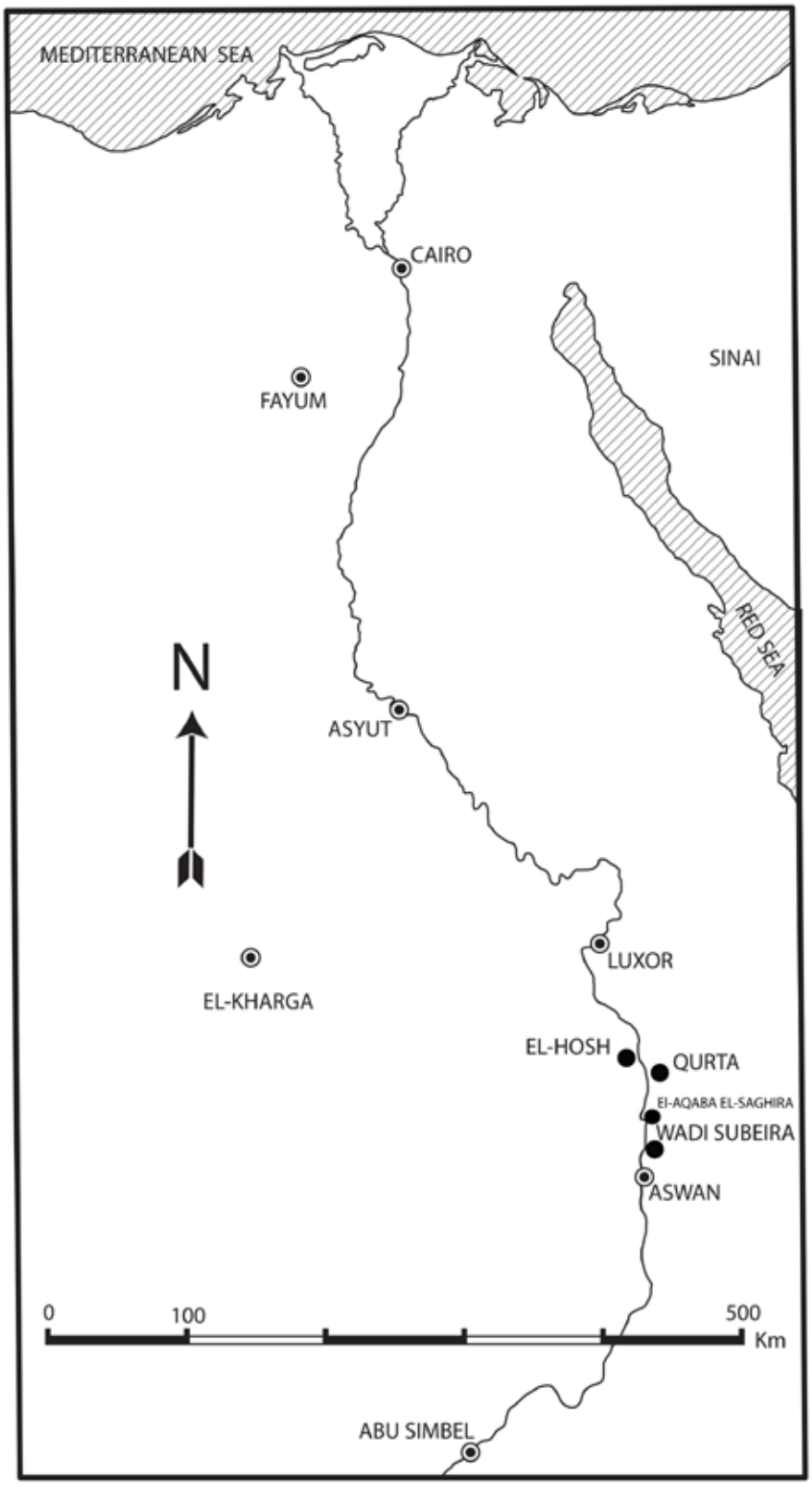

(لوحة ١) خريطة لمصر موضح عليها مواقع النقوش الصخرية من العصر الحجري القديم.

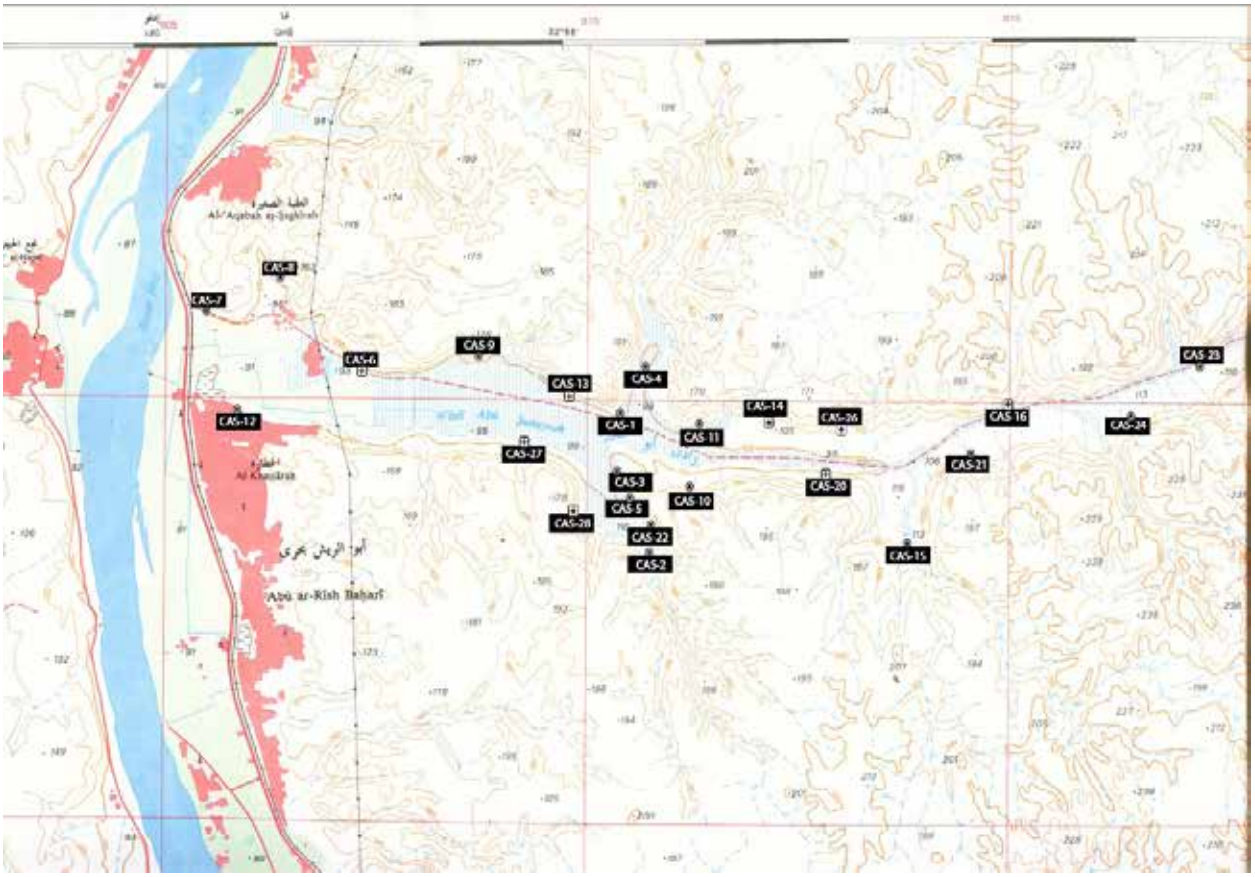

(لوحة ٢) خريطة مساحية موضح عليها مواقع النقوش الصخرية بوادي أبو سوبيرة شمال أسوان.

الأسرات ونقوش العصور المتأخرة على مستوى منخفض من الارتفاع على نفس التلال. وقد وجدت هذه النقوش تطل على الأودية الرئيسية أو أودية فرعية أو باتجاه النيل وهي تتشابه في هذه الوضعية مع نقوش نفس الفترة الزمنية الموجودة في الأماكن المفتوحة بأوروبا.[١١] وقد تأكد أن معظم هذه النقوش - ومن خلال البعض منها الذي ما زال بموقعه الأصلي - ترتفع عن مستوى سطح البحر فوق ١٢٠مترًا، وهو مستوًى مرتفع حتى عن مستوى النهر البري[١٢] أو ما يطلق عليه ما قبل النيل،[١٣] لكنها إحدى السمات الرئيسية التي تميزت بها مواقع هذه النقوش، وباستثناء الكتل الحجرية المنقوشة التي تساقطت بعد ذلك من أعلى الجبال إلى أسفلها أو على جوانبها خاصة خلال فترات العصر المطير، فإن جميع النقوش التي تعود للفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم تقع على مستوً مرتفع عن أرضية الأودية بما لا يقل عن ٢٠-٢٥ مترًا.[١٤]

ب- الموضع: نفذت النقوش الصخرية من الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم على كتل من الحجر الرملي العادي أو من الحجر الرملي الذي تكلس في بعض طبقاته. ونفذت النقوش على كتل حجرية رأسية وأفقية. ويبدو أن وضع الكتل الحجرية ومناسبتها للنقش عليها كان أحد العوامل المساعدة على عملية اختيار الكتل للنقش عليها. وعلى الرغم من ذلك فقد عثر على بعض المواقع بها كتل حجرية مناسبة جدًّا للنقش عليها ورغم ذلك لم يتم العثور على نقوش من العصر الحجري القديم عليها. وربما يشير ذلك إلى أن بعض المناطق لها خصوصية أو رمزية لعمل النقوش عليها دون غيرها من المواقع التي رغم توافر الأحجار المناسبة للنقش عليها لم يتم ترك نقوش صخرية بها، والمثال الأوضح للأماكن المميزة لوضع النقوش الصخرية هو الموقع -٦ الذي عثر فيه على ما يزيد على المائة نقش.[١٥]

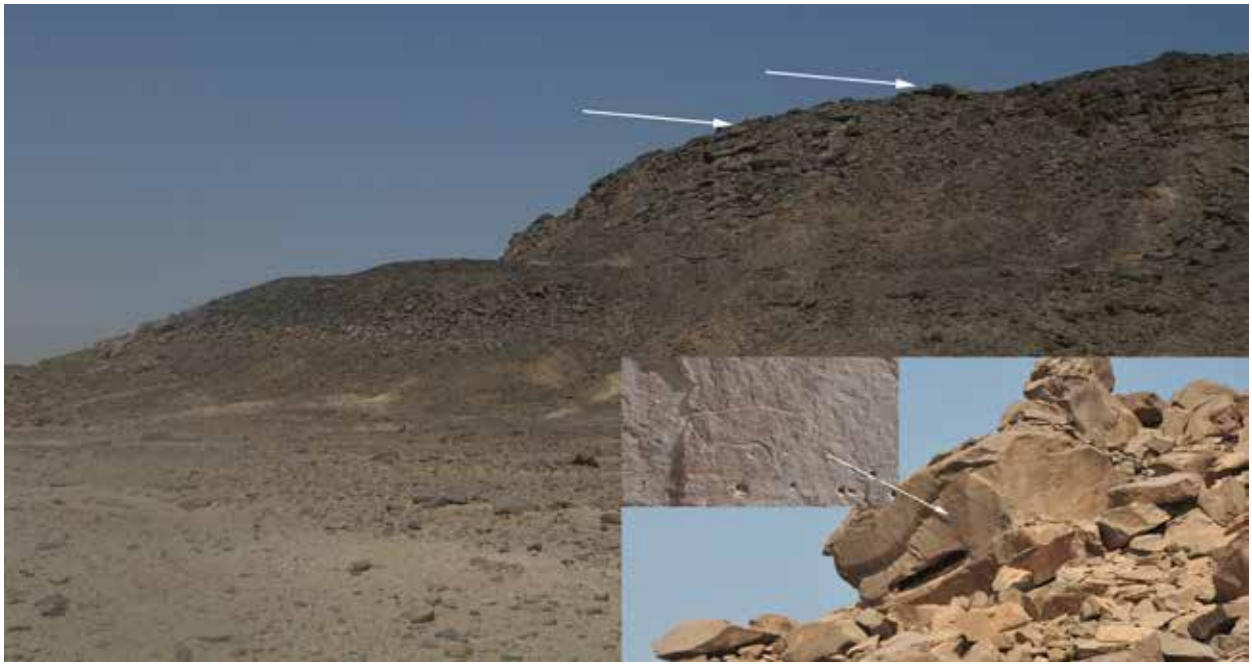

(لوحة ٣) مواقع النقوش الصخرية من العصر الحجري القديم وموقعها المرتفع والاتجاه ناحية الوادي.

وتبقى نقطة تحتاج إلى مزيد من الدراسة وهي إمكانية رؤية النقوش من مسافات بعيدة من عدمه وفقًا لموضع النقوش على الصخرة أو زاويتها على الجبل، وقد لوحظ أن بعض النقوش وضعت على صخور أعلى الجبال وعلى حدود جروف صخرية شاهقة يصعب الوقوف أسفلها أو حولها، وأن أفضل الأماكن لرؤية هذه النقوش يكون من الوادي نفسه وعلى مستوًى مرتفع (لوحة ٣). ويترك ذلك سؤالاً عن مدى صعوبة تنفيذ هذه النقوش في مثل هذه الأماكن، كما يقودنا ذلك إلى الهدف من عمل هذه النقوش والسبب في اختيار هذه المواقع، ورغم محاولتنا فهم ذلك أو استنتاجه فذلك لا يعدو سوى محاولات منا، ولكن الهدف الحقيقي قد رحل مع الفنان نفسه.

ومع ذلك، فإن الشواهد الأثرية تؤكد أن لنقوش الموقع أهمية، خاصة أن هذه النقوش موجودة في مكان يمكن منه رؤيتها بسهولة، وربما كان هذا من الأهداف الرئيسية لعمل هذه النقوش، كما لا نستبعد أن يضيف الفنان بعض الألوان لخطوط النقوش ليجعلها أكثر واقعية مثلها مثل رسوم كهوف أوروبا غير أن الفترات المطيرة ووجود هذه النقوش في العراء جعل من احتفاظها بالألوان أمرًا مستحيلاً ومن الصعب إثباته أو نفيه.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أهمية دراسة بيئة النقوش الصخرية بهذه المواقع، الأمر الذي ساعدنا كثيرًا على فهم عدد كبير من النقاط الهامة عن هذه الفترة التاريخية وفنونها التي تمتد لتصل إلى الحرف السائدة ومناطق ممارسة هذه الحرف والحيوانات المنتشرة بالمنطقة وغيرها من المعلومات الهامة التي نستخرجها من خلال دراسة هذه النقوش الصخرية الفريدة.

عناصر النقوش الصخرية

نقشت عناصر عديدة في النقوش الصخرية من الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم معظمها نقوش للحيوانات وهي النسبة الكبرى بين النقوش. والنقوش البشرية التي ظهرت في مواقع قرته نسبتها قليلة جدًّا ولم يكشف عن نقوش بشرية واضحة حتى الآن بمواقع سوبيرة والعقبة، وبالإضافة إلى ذلك عثر على بعض الخطوط غير المفهومة أو الواضحة، وفي أحيان أخرى غير مكتملة. وسوف نتناولها بالترتيب كالآتي:

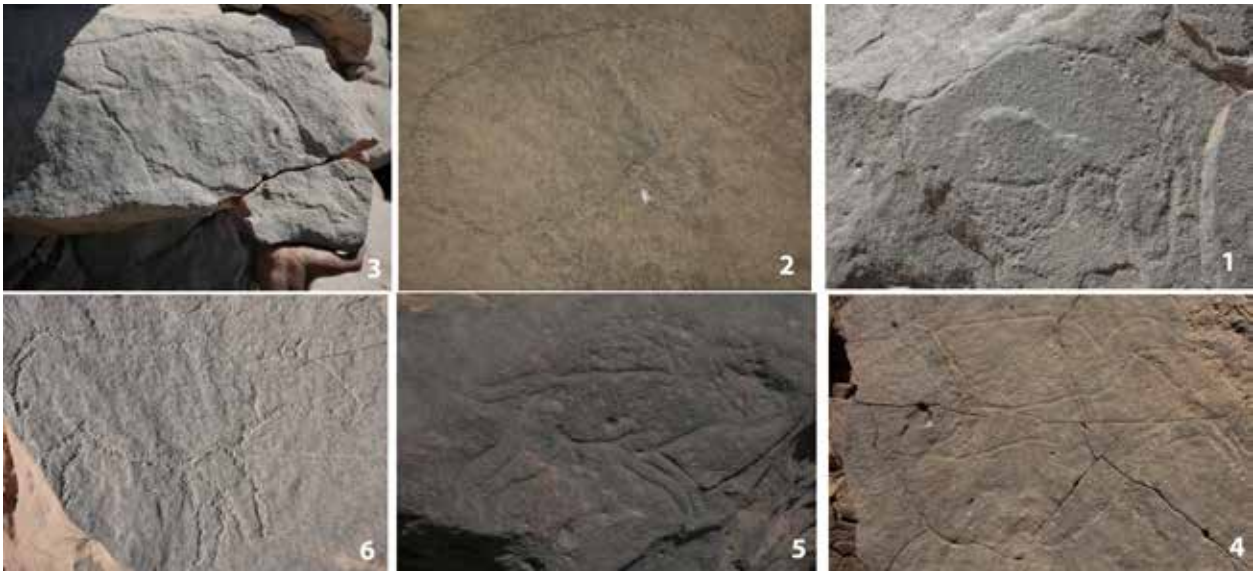

(لوحة ٤) أنواع الحيوانات التي ظهرت في النقوش الصحرية من العصر الحجري القديم بوادي سوبيرة: ١- حمار بري ٢- فرس نهر ٣- سمكة ٤- طيور ٥- كلب بري ٦- ثور بري.

أ- **نقوش الحيوانات**: والتي تعد النسبة الكبرى من هذه النقوش وتصل نسبتها على سبيل المثال في نقوش قرته إلى أكثر من ٩٣٪ من النقوش[١٦] وتزيد هذه النسبة في نقوش وادي سوبيرة. والحيوانات التي مثلت في النقوش هي الثيران البرية من نوع Bos primigenius، الذي كان ينتشر بشكل واسع في الشرق وأوروبا في الأزمنة القديمة.[١٧] وتعد الثيران في كلٍّ من مواقع قرته وسوبيرة أكثر الحيوانات الممثلة في النقوش الصخرية، يلي ذلك في مواقع أبو سوبيرة الأسماك ثم فرس النهر والطيور خاصة طيور الماء ثم بنسب أقل الغزال والكلاب البرية والحمر الوحشية (مثال واحد بموقع CAS-٦) والظبي النوبي (مثال واحد فقط بموقع CAS-١٣ بوادي أبو سوبيرة)[١٨] والخنزير البري (مثال واحد فقط بموقع CAS-٦).[١٩] (لوحة ٤)

ويظهر بموقع وادي سوبيرة ثلاثة نقوش لحيوان يشبه إلى حد كبير الجمل البري، الأمر الذي يرجع ظهوره في وادي النيل لهذه الفترة المبكرة ويدعم بعض الدراسات التي كانت تظهر على استحياء لتشير إلى ظهور الجمل في وادي النيل في فترة ما قبل الأسرات[٢٠] (لوحة ٥). وفي الموقع CAS-٦ كان نقش الجمل على نفس اللوحة مع نقش لفرس النهر والأسماك ويحمل نفس أسلوب التنفيذ ونفس لون الصخر، ومن ثم تأكد أنها من الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم.

وتختفي في هذه النقوش الحيوانات الإثيوبية الشهيرة في مناطق السافانا، وهي التي ظهرت في فترات تالية في نقوش ما قبل الأسرات والفترات التالية ومنها الزرافيّ والنعام والفيلة ووحيد القرن.[٢١]

معظم الحيوانات التي تم تمثيلها في النقوش الصخرية تتطابق مع العظام الحيوانية التي تم العثور عليها بمواقع الحفائر لمواقع الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم، ومع ذلك، فقد عثر على كميات كبيرة من عظام التيتل الإفريقي في مواقع الحفائر التي تعود للعصر الحجري القديم،[٢٢] ولم يعثر إلا على مثال واحد منها في أحد نقوش مواقع قرته وهو غير مؤكد،[٢٣] كما لم يعثر على مثال واضح له في نقوش سوبيرة.

وتدل كثرة وجود عظام التيتل الإفريقي في مواقع الاستيطان التي تعود للعصر الحجري القديم[٢٤] على أنه أحد مصادر اللحوم الرئيسية لهذه الفترة ولعمليات الصيد من هذه الجماعات، ومع ذلك، فهو أقل الحيوانات تمثيلاً في النقوش الصخرية من هذا العصر بل يكاد يختفي من النقوش. وتظهر نفس الظاهرة في رسوم كهوف أوروبا؛ حيث رسمت حيوانات متنوعة على جدران الكهوف ليس لها دور اقتصادي مباشر مع أصحاب هذه الرسوم، وربما يوحي ذلك بأن الجانب الاقتصادي لم يكن يؤدي دورًا

(لوحة ٥) صور توضح النقوش الثلاثة للجمل بوادي سوبيرة ضمن نقوش العصر الحجري القديم .

كبيرًا أو الدور الرئيسي في أهداف كلِّ هذه الرسوم والنقوش، وأن الهدف الديني أو السحري كان المسيطر على دوافع هذا الفن، ولا سيما أن بعض النقوش أو الرسوم للحيوانات في كلٍّ من قرته وسوبيرة وضعت عليها خطوط متقاطعة على الأقدام أو الرأس في شكل له مغزًى سحري أو طقسي،[٢٥] ورغم ذلك، فإن التعميم غير صحيح على جميع الرسوم والنقوش التي تعود لهذه الفترة؛ فلا يصح أن نقول إن جميع النقوش والرسوم كانت ذات هدف سحري فقط دون الجانب الاقتصادي خاصة عند مراجعة الكم الكبير من الرسوم في كهوف أوروبا؛ حيث رسم في أحدها أحد الفيلة في كهف 'بندال' بإسبانيا؛ وقد صور موقع القلب للفيل وسهام الصيادين موجهة إليه.[٢٦]

ب- النقوش البشرية: تعد هذه النقوش رغم عددها المحدود في مواقع قرته (عثر عليها في مواقع قرته فقط) من العوامل الهامة في تأريخ النقوش الصخرية من الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم خاصة مع مقارنتها بتلك الأشكال البشرية التي ظهرت في رسوم جنوب أوروبا[٢٧] وهو ما سوف نتناوله لاحقًا. وتميزت نقوش الإنسان بالشكل التخطيطي البسيط عكس نقوش الحيوانات، واختفى الرأس ونقش الجسم منتفخًا عند الوسط (المؤخرة(. ورغم أن عدد مواقع النقوش الصخرية الأكبر كان في منطقة أبو سوبيرة فحتى الآن لم يتم كشف نقوش تمثل الأشكال البشرية، ويضع ذلك عددًا كبيرًا من علامات الاستفهام عن سبب اختفاء هذه النقوش. ومع ذلك، فهناك بعض الأشكال التي تقترب من الأشكال الآدمية وإن كانت بأسلوب وطراز مختلفين؛ لكنها وُجدت بين نقوش تعود للعصر الحجر القديم بالموقع -٢٠، ومع ذلك، فربما تعود هذه النقوش إلى فترة لاحقة للعصر الحجري القديم المتأخر أو فترة.[٢٨] (لوحة ٦)

ج- العناصر غير المعروفة: مع نقوش الحيوانات والأشخاص كشف عن بعض الخطوط والأشكال غير المعروفة التي يصعب تحديدها خاصة في بعض النقوش التي تعرضت لكثير من عوامل التعرية؛ الأمر الذي أثر بشكل كبير في وضوح هذه النقوش. وقد تكون هذه النقوش عبارة عن بعض الخطوط أو النقاط غير المكتملة، ويجب ألا ننسى هنا أن إحدى خصائص نقوش الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم هي وجود نقوش غير مكتملة بالإضافة إلى تداخل الأشكال معًا أو وجود خطوط متقاطعة أو مشتركة على أجسام الحيوانات[٢٩] (لوحة ٧)، ورغم ذلك، فإن هذا الفن في أوروبا غني بالأشكال الهندسية أو غير المحددة المعالم.[٣٠]

(لوحة ٦) لوحة من الحجر الرملي عليها نقشان لثوران من الطراز المجدليني، المقياس في اللوحة ١٥ سم.

السمات الفنية

تميزت نقوش الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم بعدة مميزات ميزتها عن بقية النقوش الأخرى التالية لها في العصر والموجودة بالقرب من منطقة الدراسة أو بعيدة عنها. ومن هذه السمات أنها كانت تنقش باستخدام أسلوب النقر أو الحز، وقد استخدمت الطريقتان في بعض الأحيان في النقش الواحد، غير أن الأسلوب الأكثر انتشارًا هو النقر الذي نفذ ربما باستخدام أدوات حجرية من الكورتزيت المنتشرة بالمنطقة (عثر على عدد كبير من الأدوات المنتشرة بالقرب من النقوش الصخرية؛ لكن نظرًا للاختلاط في العصور على السطح فإنه من الصعب ربطها بشكل واضح بنقوش الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم).

والأسلوب الفني للنقوش - وهو الأسلوب الطبيعي أو الواقعي - هو أسلوب يختلف كليًّا عن الأسلوب الفني للنقوش الصخرية من عصور ما قبل الأسرات أو عصور الأسرات أو المراحل التالية.[٣١] فقد صورت الحيوانات بالشكل الطبيعي وفي بعض الأحيان القليلة بالحجم الطبيعي،[٣٢] مع

(لوحة ٧) نقش لفرس نهر ويظهر علي بدنه الخطوط المتقاطعة والتي هي أجزاء من نقوش لحيوانات أخرى غير مكتملة أو خطوط لها أغراض سحرية؟، وادي سوبيرة "٦-".

(لوحة ٨) نقشان من وادي سوبيرة يظهر في أحدهما النحت الغائر لفرس النهر (يمين اللوحة)، والآخر ثلاثة مناظر لثور نقشت فوق بعضها ومتداخلة معًا مع استخدام الخطوط المشتركة للحيوانات، والنقشان يظهران أسلوب البعد الثلاثي في هذا الفن.

تفاصيل واقعية في غاية الدقة؛ حتى إن بعض هذه النقوش نقش بالحفر الغائر العميق ليصل إلى مرحلة النقوش ذات البعد الثلاثي[٣٣] (لوحة ٨)، ويتشابه ذلك مع رسوم الكهوف الموجودة بمنطقة جنوب أوروبا من العصر المجدليني،[٣٤] والتي تطورت في بعض الأحيان لتصبح تماثيل لهذه الحيوانات في بعض الكهوف.[٣٥]

وصورت الأشكال يتداخل بعضها مع بعض دون وضع مستويات للأشكال مثل تلك التي استخدمت في عصور ما قبل الأسرات أو عصور الأسرات، كما تركت بعض الأشكال - خاصة أشكال الحيوانات - دون أن تكتمل فنقشت بدون الأقدام أو بعض أجزاء من جسم الحيوان. ونقشت الأشكال دون تحديد للاتجاهات؛ فقد رسمت الأشكال وتداخلت معًا وفي بعض الأحيان تداخلت واشتركت في نفس الخطوط الخارجية لأجسام الحيوانات، كما تم استخدام تضاريس الأحجار الطبيعية فتحولت خطوط الكنتور الطبيعية إلى خطوط خارجية للنقوش وفي بعض الأحيان الاستفادة منها في إبراز منظور ثلاثي الأبعاد للنقش.[٣٦] (لوحة ٩)

وصورت الحيوانات في هذه النقوش وهي في أوضاع حركة تفيض بالحيوية وفي أوضاع مختلفة من الجري والقفز والسير بما يدل على تصوير الفنان لأوضاع الحيوانات في الطبيعة. ويختلف ذلك الأسلوب الفني بشكل كبير عن أسلوب النقوش الصخرية التي تعود لفترات زمنية أخرى؛ حيث نقشت في أوضاع جامدة بدون إظهار للحركة أو تنوع في أوضاع هذه الحيوانات.[٣٧]

التأريخ

تعد نقطة تأريخ النقوش الصخرية بشكل عام من الأمور الشائكة، وبالرغم من ذلك، فهناك بعض الشواهد والوسائل التي تساعد على وضع تأريخ تقريبي للنقوش الصخرية.

التأريخ المباشر: نظرًا لعثور البعثة البلجيكية على بعض النقوش الصخرية بموقع 'قرته' وقد غطى بعضها رواسب قديمة، فقد تمكن فريق العمل من استخدام تقنية Optically Stimulated Luminescence OSL [٣٨] للتأريخ أثبتت أن الترسيبات التي غطت النقوش الصخرية تعود لفترة من ١٧ إلى ١٩ ألف عام قبل الآن،[٣٩] وقد لوحظ أن بعض هذه النقوش قد تعرض للتعرية قبل تغطية الطبقات الرسوبية لها، ونظرًا لتأثير التعرية في النقوش الصخرية قبل عملية الردم، فإن ذلك يعني أن النقوش الصخرية أقدم بكثير من عملية الردم أو التغطية التي أرختها الطريقة السابقة.[٤٠] ورغم ذلك، تعد هذه الوسيلة من أدق وسائل التأريخ التي تمت على هذه النقوش بشكل مباشر حتى الآن، وإن لم تعطِ التاريخ الفعلي لتنفيذ هذه النقوش.

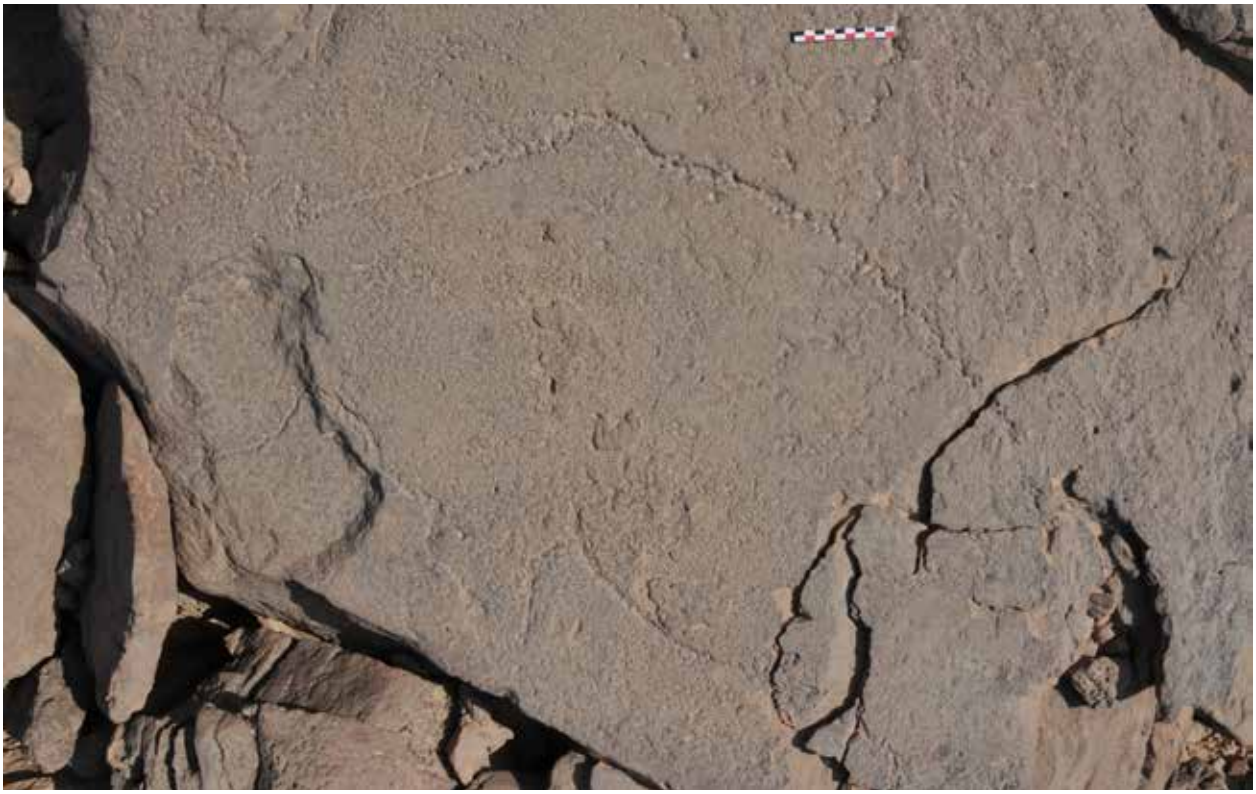

(لوحة ٩) يظهر نقش لثور بري من العصر الحجري القديم ويظهر في النقش استخدام الفنان لكنتور الحجر لإظهار الوجه وجسم الثور.

التأريخ **غير المباشر**:

أ) عند فحص النقوش الصخرية التي تعود للعصر الحجري القديم المتأخر لوحظ أنها تكتسب لون الصخر المحيط بخطوط النقش (الباتينا أو الزنجرة)؛ وهو ما يشير إلى أن هذه النقوش قد نفذت قبل العصر المطير الذي أعطى الصخور هذا اللون؛ ونظرًا لأن العصر المطير كان في الفترة من ٥٠٠٠ إلى ٩٠٠٠ عام ق.م.[١٤] فإن هذه النقوش نقشت قبل أو أثناء هذه الفترة.

ب) جميع الحيوانات التي وجدت في هذه النقوش الصخرية هي حيوانات برية لا تظهر أي نوع من الترويض خاصة الثور البري، وهو حيوان انقرض منذ فترة كبيرة في إفريقيا ولم يظهر في فترات ما قبل الأسرات،[٢٤] أو الفترات اللاحقة، كما اختفت الحيوانات الإثيوبية من هذه النقوش مثل الزرافيّ والأفيال ووحيد القرن وكلها من الحيوانات المعروفة في النقوش الصخرية من عصور ما قبل الأسرات والفترات اللاحقة لها.[٣٤]

وبالنظر لتنوع الحيوانات الممثلة في النقوش الصخرية خاصة الجمل حتى الوعل النوبي ومقارنتها بالثيران البرية والأسماك وفرس النهر وطيور الماء، يتضح أن هناك اختلافًا في بيئة كلِّ هذه الحيوانات. ويدل ذلك بشكل ما على الفترات المناخية المتنوعة التي مرت بها هذه النقوش من عصور مطيرة مع وفرة مصادر المياه وأخرى جافة، مع تمثيل حيوانات كلِّ فترة من هذه الفترات في النقوش الصخرية؛ كما يستدل من نوع الحيوانات والأسماك أن أصحاب هذه النقوش كانوا من الصيادين المرتحلين، وأن هناك رابطًا هامًّا بين توافر المياه ومصادرها بالوادي وأصحاب النقوش.

ج) عثر على جميع النقوش الصخرية من العصر الحجري القديم المتأخر التي ما زالت في موقعها الأصلي على منسوب مرتفع أعلى من منسوب النقوش الصخرية الأخرى التالية لها في الزمن، وقد تأكد أن مستوى هذه

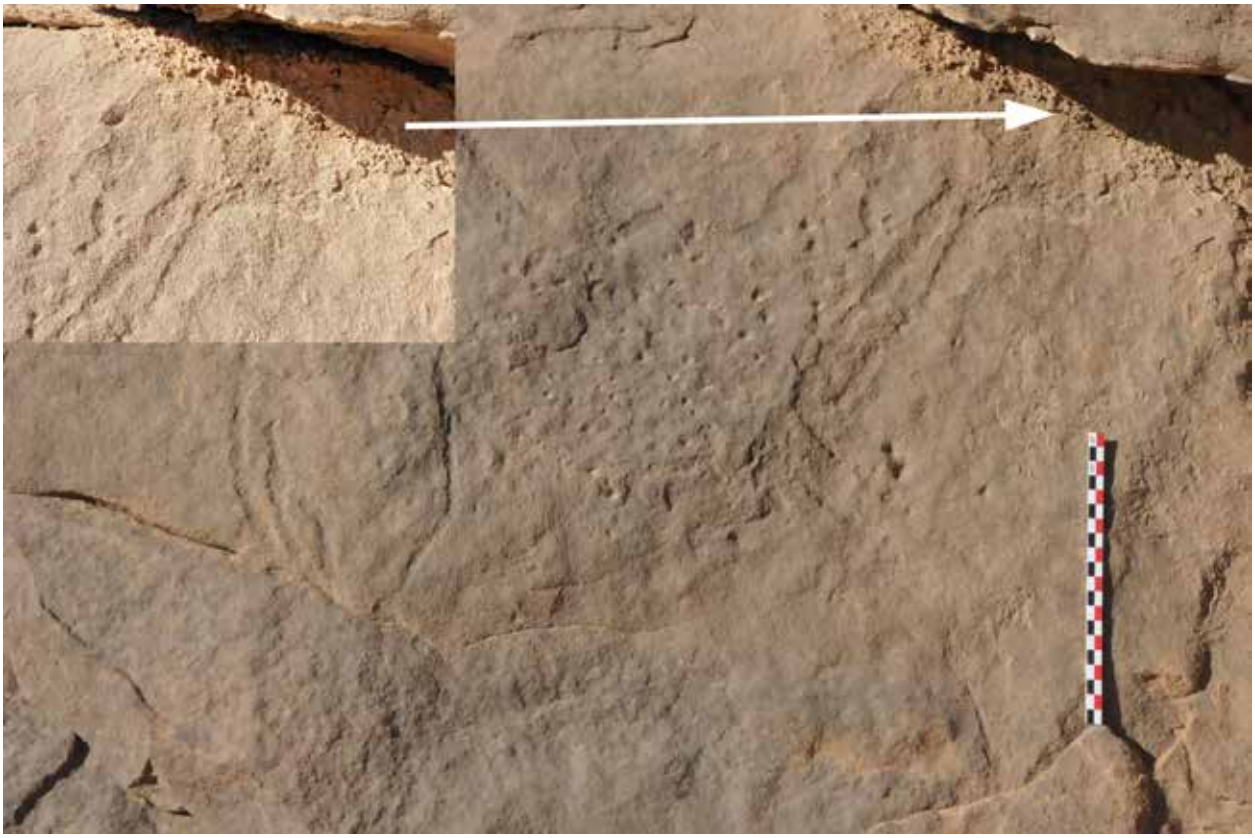

(لوحة ١٠) نقش من العصر الحجري القديم، وقد غطت طبقة كلسية بيضاء رأس الحيوان.

النقوش الصخرية من العصر الحجري القديم يرتفع عن مستوى النيل البري.[٤٤]

د) الأسلوب الفني الذي نفذت به النقوش خاصة نقوش الثيران البرية يتشابه بشكل كبير مع رسوم الكهوف خاصة كهوف «التميرا» و«الاسكو»[٤٥] وهي التي تعود إلى فترة الحضارة المجدلينية،[٤٦] كذلك التشابه الكبير بين نقوش الإنسان في موقع قرته وتلك التي في رسوم الكهوف بأوروبا، والتي تعود إلى نهاية العصر المجدليني؛ وهو ما يطلق عليه طراز /Lalinde Gönnersdorf.[٤٧]

هـ) عثر على نقش من نقوش الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم لحيوان يغطي منطقة الرأس منه طبقة كلسية بيضاء، ولوحظ أن هذه الطبقة تنتشر بشكل كبير بالموقع على مستوًى مرتفع (تبدأ من منسوب ١١٩مترًا عن مستوى سطح البحر) (لوحة ١٠). ومن التحليل الأولي لهذه المادة تأكد أنها مادة ترسيبية نتجت عن وجود المياه العذبة لفترات طويلة، وأن هذه المادة ترسبت في فترات قديمة جدًا، والبحث جارٍ عن تقنية يمكن منها تأريخ هذه المادة الكلسية، ومن ثم المساعدة على تأريخ النقوش الصخرية بالموقع.

وبناءً على التاريخ الأولي لهذه النقوش، فإنها الأقدم حتى الآن في إفريقيا باستثناء بعض المواقع القليلة في جنوب إفريقيا وكهف بناميبيا.[٤٨] ورغم عدم الوصول للتأريخ الدقيق للفترة التي نفذت فيها هذه النقوش، فإن كثيرًا من الشواهد أكد أنها نقشت في الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم.

ونظرًا للتشابه الكبير بين نقوش العصر الحجري القديم في مصر وتلك التي في كهوف أوروبا بل التماثل الكبير أيضًا في الأساليب الفنية وأشكال الحيوانات وأوضاعها، يُطرح سؤال عن مصدر هذا التشابه؟ وهل كان هناك اتصال بين

الحضارات في هذه الفترة؟ ومن الذي نقل هذا الفن؟ وإلى من؟ هل بدأ في إفريقيا؟ أو أوروبا؟ وهل كان البحر المتوسط وسيلة اتصال وليس وسيلة عزل بين حضارات المتوسط في العصور الحجرية؟ حيث تشير الدراسات الجيولوجية الحديثة أن مستوى البحر المتوسط في هذه الفترة كان منخفضًا بنحو ١٠٠ متر عن المستوى الحالي؛[٤] أي إنه يسمح بعبور الإنسان حاملاً أساليبه الفنية على شاطئ البحر المتوسط بسهولة أكثر. وهل كان انتقال الإنسان بين ضفتي المتوسط يتم عندما يسود الجليد أوروبا فينتقل الإنسان على شكل جماعات صغيرة إلى المناخ الأدفأ على السواحل الإفريقية من البحر المتوسط؟.

وبالإضافة إلى ذلك كشفت بعض أعمال المسح الأثري الأخيرة عن وجود نقوش صخرية مشابهة في جزر البحر المتوسط مثل صقلية وجنوب إيطاليا[٥] بالإضافة إلى التشابه الكبير بين نقوش الثيران في كلٍّ من قرته وخور أبو سوبيرة، ونقوش الثيران التي عثر عليها بموقع الجبل الأخضر في ليبيا،[٥] وسيناء.[٥] ومن المتوقع أن تكشف أعمال المسح الأثري في مصر وفي شمال إفريقيا عن مواقع أخرى لنقوش الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم، عندها يمكن تتبع مسار هذا الفن ومعرفة بدايته الإفريقية على الأرجح.

الهوامش

* المشرف على إدارة المحاجر والمناجم الأثرية، وزارة الآثار؛ adelkelany@hotmail.com.

١ A. Kelany, 'More Late Palaeolithic Rock Art at Wādi Abū Subeira, Upper Egypt', *Bulletin des Musées royaux d'Art et d'Histoire* 83 (2012), 5–21; A. Kelany, 'The Archaeological Excavation and Survey at the Unfinished Obelisk and at Wadi Subeira', in D. Raue, S.J. Seidlmayer and Ph. Speiser (eds.), *The First Cataract: One Region–Diverse Perspectives*, *SDAIK* 36 (2013), 97–102, pl. 19–21; A. Kelany, A. Tohami, H. Harby, M. Mokhtar, S. Elhomosany, M. Badawy, H. Eltaher, M. Abdelbasset, 'Surveying Work at Wādi Abū Subeira, Season 2012', in A. Jiménez–Serrano and C. von Pilgrim (eds.), *From the Delta to Cataract. Studies Dedicated to Mohamed el-Bialy* (in press); A. Kelany, *Late Palaeolithic Rock Art Sites at Wadi Abu Subeira and el-Aqaba el-Saghira, Upper Egypt*, *Cahiers de l'AARS* 17 (2014), 105–115.

٢ H. Dirk, 'Côa in Africa: Late Pleistocene Rock Art along the Egyptian Nile', *International Newsletter on Rock Art* 51(2008), 1–7.

٣ H. Dirk, C. Wouter, 'Ice Age Art along the Nile', *Egyptian Archaeology. Bulletin of the Egypt Exploration Society* 33 (2008), 25–28.

٤ P.E.L. Smith, 'Expedition to Kom Ombo', *Archaeology* 17 (1964), 209–210.

٥ P.E.L. Smith, 'An Enigmatic Frieze from Upper Egypt: A Problem in Nilotic Rock Art', in M. Liverani, A. Palmieri, R. Peroni (eds.), *Studi di paletnologia in onore di Salvatore M. Puglisi* (Roma, 1985), 359–368.

٦ Dirk, Wouter, *Egyptian Archaeology. Bulletin of the Egypt Exploration Society* 33, 25–28.

٧ Dirk, *International Newsletter on Rock Art* 51, 1–7.

٨ P. Storemyr, A. Kelany, M. Negm, A. Tohami, 'More Lascaux along the Nile? Possible Late Palaeolithic Rock Art in Wadi Abu Subeira, Upper Egypt', *Sahara* 19 (2008), 155–158.

٩ عادل كيلاني، أعمال المسح الأثري لمنطقة وادي سوبيرة ووادي عجاج ووادي عجباب شمال أسوان، تقارير علمية غير منشورة (القاهرة، ٢٠٠٧، ٢٠١٠، ٢٠١٢).

١٠ Kelany, *Late Palaeolithic Rock Art Sites at Wadi Abu Subeira and el-Aqaba el-Saghira, Upper Egypt, Cahiers de l'AARS* 17, 105–115; Kelany, *et al.*, in Jiménez–Serrano, von Pilgrim (eds.), *From the Delta to Cataract. Studies Dedicated to Mohamed el-Bialy*.

١١ P.G. Bahn, J. Vertut, *Journey through the Ice Age* (London, 1997), 128–133; P. Bahn, *Prehistoric Rock Art: Polemics and Progress* (Cambridge, 2010), 238.

١٢ جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول (القاهرة، ١٩٩٤)، ١٣٢،١٣٣.

١٣ رشدي سعيد، نهر النيل نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل (القاهرة، ٢٠٠١)، ٥٩.

١٤ Kelany, *Bulletin des Musées royaux d'Art et d'Histoire* 83, 5–21.

١٥ Kelany, *Late Palaeolithic Rock Art Sites at Wadi Abu Subeira and el-Aqaba el-Saghira, Upper Egypt, Cahiers de l'AARS* 17, 105–115.

١٦ H. Dirk, S. Ikram, 'Animal Representations in the Late Palaeolithic Rock Art of Qurta (Upper Egypt)', in H. Riemer, F. Förster, M. Herb, N. Pöllath (eds.), *Desert animals in the Eastern Sahara: Status, Economic Significance and Cultural Reflection in Antiquity* (Köln, 2009), 157–174.

١٧ U. Hans–Peter, *The Ancient Distribution of the Ungulate Mammals in the Middle East*, *Gottingen* (Germany, 1987), 71–72.

١٨ Kelany, *Bulletin des Musées royaux d'Art et d'Histoire* 83.

١٩ Dirk, Ikram, in Riemer, *et al.*, (eds.), *Desert Animals in the Eastern Sahara: Status, Economic Significance and Cultural Reflection in Antiquity*; Kelany, *et al.*, in Jiménez–Serrano, von Pilgrim (eds.), *From the Delta to Cataract. Studies Dedicated to Mohamed el– Bialy* (in press).

٢٠ M. Ripinsky, 'The Camel in Dynastic Egypt', *JEA* 71 (1985), 134–141.

٢١ Kelany, *Late Palaeolithic Rock Art Sites at Wadi Abu Subeira and el-Aqaba el-Saghira, Upper Egypt, Cahiers de l'AARS* 17, 105–115.

٢٢ Hans–Peter, *The Ancient Distribution of the Ungulate Mammals in the Middle East*, 87–88.

٢٣ Hans–Peter, *The Ancient Distribution of the Ungulate Mammals in the Middle East*, 167.

٢٤ A. Gautier and W. Van Neer, 'Animal Remains from the Late Paleolithic Sequence at Wadi Kubbaniya', in F. Wendorf, R. Schild (eds.), *The Prehistory of Wādi Kubbaniya* 2 (Dallas, 1989), 119–161.

٢٥ Dirk, Wouter, *Egyptian Archaeology, Bulletin of the Egypt Exploration Society* 33, 26.

٢٦ سيد توفيق، تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق (القاهرة، ١٩٨٧)، ٧.

٢٧ Bahn, Vertut, *Journey through the Ice Age*, 158–166.

٢٨ Epipalaeolithic : هي المرحلة اللاحقة للعصر الحجري القديم الأعلى، وهي بديل عن العصر الحجري الوسيط، راجع: خالد أبو غنيمة، معجم مصطلحات ما قبل التاريخ (الأردن، ٢٠٠٩)، ٤٦.

٢٩ Kelany, *Bulletin des Musées royaux d'Art et d'Histoire* 83.

٣٠ Bahn, Vertut, *Journey through the Ice Age*, 166–169.

٣١ Dirk, Wouter, *Egyptian Archaeology. Bulletin of the Egypt Exploration Society* 33, 26

٣٢ Kelany, *Bulletin des Musées royaux d'Art et d'Histoire* 83.

٣٣ (Fig. 6) in Storemyr, *et al.*, *Sahara* 19, 157.

٣٤ Bahn, Vertut, *Journey through the Ice Age*, 111–112.

٣٥ Bahn, Vertut, *Journey through the Ice Age*, 111–112.

٣٦ H. Dirk, 'Late Palaeolithic and Epipalaeolithic Rock Art in Egypt: Qurta and El-Hosh', *Archéo–Nil* 19 (2009), 111.

٣٧ Dirk, *Archéo–Nil* 19, 111.

٣٨ وهي طريقة علمية لحساب آخر مرة تعرضت لها حبيبات الرمال للشمس، ومن ثم معرفة تاريخ تغطية الرواسب لهذه النقوش، راجع:

G.A.T. Duller, 'Luminescence Dating of Quaternary Sediments: Recent Advances', *Journal of Quaternary Science* 1 (2004), 92–183.

٣٩ H. Dirk, D.A.G. Vandenberghe, M. De Dapper, F. Mees, W. Claes, J.C. Darnell, 'First Evidence of Pleistocene Rock Art in North Africa: Securing the Age of the Qurta Petroglyphs (Egypt) through OSL Dating', *Antiquity* 85 (2011), 1184–1193; H. Dirk, 'The Aurochs of Qurta Egyptian 'Ice Age' Art', *Current World Archaeology* 53 (2012), 28–29.

٤٠ Dirk, *et al.*, *Antiquity* 85, 1184–1193; Dirk, *Current World Archaeology* 53, 28–29.

٤١ Storemyr, *et al.*, *Sahara* 19, 156.

٤٢ Dirk, Ikram, in Riemer *et al.*, (eds.), *Desert Animals in the Eastern Sahara: Status, Economic Significance and Cultural Reflection in Antiquity*, 163.

٤٣ Dirk, Wouter, *Egyptian Archaeology. Bulletin of the Egypt Exploration Society* 33, 26.

٤٤ Storemyr, *et al.*, *Sahara* 19, 156.

٤٥ سيد توفيق، تاريخ الفن،٧٦٧٠.

٤٦ Dirk, Wouter, *Egyptian Archaeology. Bulletin of the Egypt Exploration Society* 33, 26.

٤٧ M. Lorblanchet, M.C. Welte, 'Les figurations féminines stylisées du Magdalénien supérieur du Quercy', *Bulletin de la Société des Etudes du Lot* 108 (1987), 3–57.

٤٨ Dirk, *Current World Archaeology* 53, 28–29.

٤٩ سعيد رشدي، نهر النيل نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل (القاهرة، ٢٠٠١)، ٢٣.

٥٠ Dirk, *Current World Archaeology* 53, 29.

٥١ U. Paradisi, 'Prehistoric Art in the Gebel el-Akhdar (Cyrenaica)', *Antiquity* 39 (1965), 95–101.

٥٢ A. Zboray, 'An Unpublished Shelter with Prehistoric Engravings of a Possible Late Pleistocene Date in the North–Central Sinai (Egypt)', *Sahara* 23 (2012), 163–166.